

أدوات المعالجة النحوية في تصنيف المدونة اللغوية عند سيويو

Grammar processing tools in Sibawayh's linguistic code classification

فازية تيفرشة*

جامعة مولود معمري - تيزي وزو (الجزائر)

البريد الإلكتروني:

fazia.tiguercha@ummto.dz

المعلومات المقال	المخلص:
تاريخ الارسال: 2022/05/05 تاريخ القبول: 2024/01/15	يهدف البحث إلى معالجة أدوات وصف سيويو كلام العرب وتصنيفه للمدونات اللغوية وصولاً إلى التقعيد اللغوي، ومن بين هذه الأدوات مبدأ التكافؤ لجمع النظائر في الباب الواحد بحكم جريانها مجرى الأصل، إضافة إلى مبدأ التناقض، بمقابلة المدونات اللغوية التي حللها بمناقضاتها من أمثلة افتراضية لا تجري مجرى كلام العرب، من جهة التعريف بالتناقض، كما أكد ذلك في باب الأضداد. توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها أن أدوات المعالجة النحوية في تصنيف المدونة اللغوية عند سيويو مرتبطة بالسياق الخارجي الحامل لمجريات الفعل التواصل، وقصد المتكلم وتأثيرها عليه، لاستخراج الحالات النحوية المناسبة لها، كما حدد تصنيف البناء التركيبي بتطبيق آليات التكافؤ والتناقض بالوصول إلى البنى السطحية والبنى المتصورة الموجودة في أذهان المتكلمين عن طريق التمثلات الذهنية لهذه العلاقات الرابطة بين البنى السطحية والبنى المتصورة.
الكلمات المفتاحية: ✓ المدونة اللغوية ✓ التكافؤ ✓ التناقض	Abstract : <i>The research aims to address Sibawayh's description of Arab words and his classification of linguistic blogs up to linguistic reticence, and among these tools is the principle of equivalence to collect isotopes in one chapter by virtue of their flowing into the course of the origin, by contrasting the linguistic blogs that he analyzed with their contradictions from hypothetical examples that do not run the course. The research reached a set of results, the most important of which is that the grammatical processing tools in the classification of the linguistic code of Sibawayh</i>
Article info Received 05/05/2022 Accepted 15/01/2024	
Keywords: ✓ Linguistic Code ✓ Parity ✓ Contradiction	

are related to the external context that carries the course of the communicative act, and the intention of the speaker.

مقدمة:

ينطلق سيبويه في تحليله المدونة اللغوية من مدخلات منهجية تعكس طبيعة التفكير البشري الذي يوازن بين ثنائيات تبدو أنها متناقضة إلا أنها تحقق توازن الكون وتفاعل مكوناته ما يضمن استمرارية الوجود، الذي يتمظهر بتناقضاته في الخطاب التداولي بداية من المتكلم والسماع بما يلاحظ عليهما أثناء تأدية مباشرة تجري داخل اللغة إلى وصف اللغة الداخلية كنظام عصبي يجري في الدماغ. وبذلك تتشكل التصورات في اللغة بين العالم الخارجي وتفسير معطيات المعنى، كما تخضع أوصاف المعنى في المعجم اللغوي في الكلام المنجز لأوصاف العالم الخارجي، مقابل خضوع العلاقات التركيبية لتصورات المتكلمين الذهنية لكيفيات انتظام هذا العالم الخارجي وبذلك يكون التناقض في معطيات التفسير بين المدونة اللغوية ومستويات تفسير الخطاب التداولي.

وانطلاقاً من التصور السابق يعالج البحث إشكالية معالجة سيبويه المدونات اللغوية بأدوات قد تبدو أنها متناقضة إلى أنها تجد ما يفسر توظيفها في طبيعة المدونة اللغوية التي وصفها سيبويه في تقعيده النحوي وهي كلام العرب ونقيضها من الأمثلة الافتراضية.

للإجابة عن هذه الإشكالية ينطلق البحث من مجموعة من الفرضيات هي: لا يجري التناقض إلا بعد تحقق تكافؤ نظائر المدونة اللغوية التي تبين وجود أحكام متناقضة في موضوع واحد أو وجود تناقض في نص المدونة اللغوية. يقوم التناقض على أساس:

1- تناقض حكيمين بأدلة متفاوتة الحججة أو متساوية الحججة.

2- تناقض مثالين في الحكم نفسه والمرتبة نفسها، متساويين في الغلبة والشيوع.

يهدف البحث إلى معالجة أدوات وصف سيبويه كلام العرب وتصنيفه للمدونات اللغوية، انطلاقاً من ثنائيتين هما: التكافؤ والتناقض، اللذان طبقهما على مدونة تحمل تناقضاً في حد ذاتها وهما كلام العرب والأمثلة الافتراضية.

اتباع البحث منهجية دقيقة راعى من خلالها طبيعة الدراسة وذلك بوصف ظاهرتي التكافؤ والتناقض في الدراسات اللغوية القديمة منها والحديثة وتتبع هاتين الظاهرتين في كتاب سيبويه مع تقديم نماذج تحليلية.

2. أدوات المعالجة النحوية:

1.2 التكافؤ:

يقصد به توافق العناصر في البنية (لا في شيء آخر)، أي أن الوحدات التالية: (مكتب، ملعب، مجمع، معمل) وحدات دالة متكافئة، باصطلاح هذا العلم وهو نتيجة لعملية تطبيق مجموعة على مجموعة بشرط أن يكون التطبيق من نوع التقابل النظري (bijection) لا غير "والنظائر هي مجموعة الأفراد التي تنتمي إلى الباب. وكونها نظائر بعضها لبعض معناه أن كل واحد منها هو المقابل والمساوي في الصيغة (مهما اختلفت عنه) لجميع عناصر الباب والنظير غير الشبيه، بل المتفق في البناء، وهذا التوافق هو الذي يسميه النحاة قياساً¹. ومن هذه الحيثية يمكن أن يسمى الباب قياساً، أي من حيث هو تكافؤ بنوي لعناصر

تنتهي إلى فئة واحدة، فالقياس هنا هو العملية التي تتبعها النحاة الأوائل في عملهم للوصول إلى استخراج هذه الأبواب. ومفهوم التكافؤ موجود أيضا على مستوى التراكيب وذلك بحمل عبارة على عبارة أخرى من جنسها لبيان "تكافؤها" (على المحور التركيبي) إن كان هناك تكافؤ (انتماء)، ويقابله مفهوم الترتيب في عملية تولد الموضوع بمقارنة ترتيب عناصر كل عبارة لاكتشاف الترتيب المشترك بينهما (على المحور التصريفي الاستبدالي). والتركيب بين هاتين العمليتين - وهو القياس التمثيلي العربي- ينتج منه المثال أو البنية المجردة التي تجمع بين هذه العبارات من حيث بنيتها ليس إلا وهذا هو (الجامع) الذي به يتعادل الحكم². وكل وحدة من وحدات هذه المجموعة تمثل وحدة من جنس واحد تقتضيها السلامة التي يقتضيها القياس أو ما أجرته العرب في كلامها، وهي السلامة التي يقتضيها الاستعمال الحقيقي للناطقين، فلمفهوم الباب علاقة بالقياس ومفهوم النظر. فذهن الإنسان يحتفظ فقط بجذور الكلمات وبالقالب الذي تصاغ فيه هذه الجذور (البنية الصرفية) وكذلك بالنسبة للجمل، إذ يختزن الذهن قواعد نظم الجمل*.

يستعمل العرب هذه الأساليب للخروج من الأصل إلى الفرع، بمخالفة القاعدة النحوية وهو ما عبر عنه سيبويه بغير وجه الكلام أي الوجه الأصلي للكلام في قوله: "ومما جرى نعتاً على غير وجه الكلام (هذا جحرُ ضبٍ خربٍ) فالوجه الرفع وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم. وهو القياس لأن الخرب نعت الجحر والجحرُ رفعٌ، ولكن بعض العرب يجره. وليس بنعت للضب، ولكنّه نعت للذي أضيف إلى الضب فجرّوه لأنّه نكرة كالضب ولأنّه في موضع يقع فيه نعت الضب ولأنّه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد. ألا ترى أنّك تقول: هذا حبُّ رمان فإذا كان لك قلت: هذا حبُّ رمان، فأضفت الرمان إليك وليس لك الرمان إنما لك الحبُّ... فكذلك يقع جحرُ ضب ما يقع على حب رمان"³، وهذا يكشف عن وجود حالتين: الأولى هي ظهور الحركة الإعرابية كما هي في أصل القاعدة.

الثانية هي ظهور حركة مخالفة لأصل القاعدة نتيجة الاتباع في الجوار وهذا راجع للجانب الصوتي أو التأدينية الصوتية أكثر، لخفة الكلام بالاتباع بالمجاورة، فالعرب "قد حملهم قرب الجوار على أن يجروا: هذا جحرُ ضبٍ خرب ونحوه فكيف ما يصح معناه"⁴ ومن أمثلة ذلك أيضا ما استشهد به سيبويه في: "كأنَّ نسجَ العنكبوت المُزَمِّلِ"⁵ فالمرمل أتى مجرورا بالجوار إذ جاور العنكبوت المجرور وأصل الكلام أن يأتي المرمل بالنصب لأنه يعود على نسج. وقد وضع الخليل شروطا للمجاورة كالمطابقة في التعريف والتذكير والتأنيث والتنكير والإفراد والجمع، إلا أن سيبويه يجيزه دون شروط⁶.

2.2. التناقض:

1.1. أوجه التناقض:

يعد الخروج عن الأصل مظهرا من مظاهر التناقض في الكلام، إذ يصف افتراضاً يحوي الأبنية اللغوية الأصول عند النحاة، بها يقيسون الكلام وكيفية خروجه عن أصله إذ تُصور له أصل. وقد عبر سيبويه عن هذا الضرب بالتمثيل الذي لا يتكلم به، لأنه صورة ذهنية يتصور بها القائل أصل الشيء فحسب، وعقد له ابن جني بابا مخصوصا هو: "باب مراتب الأشياء، وتنزيلها تقديرا وحكما لا زمانا ووقتنا: هذا الموضوع كثير الإيهام لأكثر من يسمعه لا حقيقة تحته"⁷ فما يمكن تسميته بأصل تقدير الكلام هو مجموع الأبنية الذهنية المقدره -سواء أكانت تراكيب جمالية أم أبنية صرفية-، وهي من صنع النحوي لا من وضع الواضع واستعمال المتكلم⁸.

وهناك من الدارسين المحدثين⁹ من اعتبر هذه التراكيب الافتراضية من الأخطاء النحوية التي ارتكها سيبويه وعُدَّت من التراكيب غير صحيحة نحويًا، لأن سيبويه يلجأ إلى مثل هذه التقديرات الافتراضية منتهياً إلى أنها لم تسمع عن العرب ويوظفها في أغلب الأحيان ليصدق عنده ما هو مستعمل، ويستعمل عبارات تؤكد ذلك مثل قوله: (ولو قلت).

يقيم سيبويه علاقات افتراضية لتؤكد صحة قاعدة ما أو قبول كلام في عداد كلام العرب، ولا يقصد بالعلاقات الافتراضية افتراض سيبويه تراكيب تجريدية، فهو لم يقل أنها استعملت ولكنها تمثيل يجري مجرى المُستعمل، أي النموذج (Modèle) وهو عملية ذهنية لحصر الظواهر الفعلية وملاحظتها ومراقبة حركتها داخل منظومة النظام اللساني وافتراض نقيضها في الاستعمال، لأنها تهدف إلى تقييد القواعد الكلية للنظام. ومثال ذلك قول سيبويه: "فإذا كان الاسم حالاً يكون فيه الأمر لم تدخله الألف واللام ولم يصف. لو قلت: ضربته القائم تريد: قائماً كان قبيحاً ولو قلت: ضربتهم قائمهم تريد: قائمين كان قبيحاً"¹⁰. فالحال نكرة لا تدخله ألف ولام وتعريف بالإضافة، أما صاحب الحال فيكون معرفة مع جواز كونه نكرة موصوفة عند سيبويه لقوله: "هذا غلامٌ لك مقبلاً جعله حالاً ولم يجعله من اسم الأول"¹¹. وتحليل ذلك:



والوصف هنا بمعنى الحال عند سيبويه.

وهنا يقدم سيبويه أمثلة اعتماداً على دلالة المعنى وليس على الحكم التركيبي. فمقبلاً في القياس هي صفة أصلها الرفع وهذا معناه جعله من الاسم الأول أما إذا جعله حالاً نصب، ومثيل ذلك قوله: "واعلم أن الشيء يوصف بالشيء الذي هو هو من اسمه وذلك قولك: هذا زيدٌ الطويل. ويكون هو هو وليس من اسمه كقولك: هذا زيدٌ ذاهباً ويوصف بالشيء الذي ليس به ولا من اسمه كقولك: هذا درهم وزناً لا يكون إلا نصيباً"¹² ومعنى (هو هو) أن زيدا هو ذاهب، وذاهب هو زيدٌ، ولكن ذاهب ليس من اسم زيد ولا تابعا له في إعرابه فهو يستعمل مثالا افتراضيا مناقضا للمستعمل ليؤكد على صحة القاعدة التي يشرحها.

يصف سيبويه ما خرج عن أصول نظام الكلام وإن تكلم به ويفسره قالا: "فإن قال: أقول مررت بقائماً رجل، فهذا أخبث من قبل أنه لا يُفصل بين الجار والمجرور"¹³ ويستعمل مصطلح (أخبث) في وصف الاستعمال أي قول ملحون خارج عن أصل الكلام وقواعد اللغة في اطرادها وشيوعها.

وقد مثل سيبويه للإضافة والأوجه التي تحتلها مجاري كلام العرب بأمثلة مناقضة لم يتلفظ بها العرب وإنما هي احتمالات وهمية لاستخراج الاحتمالات الممكنة كلها، والاحتفاظ بالكلام الذي يجري على مقاييس النظام اللغوي للعربية، ومن ذلك - إضافة إلى ما ذكر - قوله: "وكذلك أنك لو قلت: أخاه الذي رأيت زيدٌ لم يجز وأنت تريد: الذي رأيت أخاه زيد"¹⁴ فتغير المراتب الاضطرابي لا يجري على المتلازمين كالمضاف والمضاف إليه، وسار على منهجيته من أتى بعده من النحاة فقال ابن السراج: "لا يجوز أن تقدم على المضاف ولا ما اتصل به، ولا يجوز أن تقدم عليه نفسه ما اتصل به فتفصل به بين المضاف والمضاف إليه فإذا قلت: هذا يوم تضرب زيداً، فلا يجوز أن تقول:

- هذا زيداً يوم تضرب.

- هذا يوم زيدا تضرب.

هذا يوم ضربك زيدا

يستعمل سيبويه مجموعة من الأدوات التحليلية التي تحمل مفهوم التناقض بما هو حاصل من تقابل وتعارض في هذه المفاهيم لبناء القضايا النحوية على شكل كلي متجانس الأبعاد وهو ما يظهر في أوجه أو مظاهر التناقض في كتابه، وهي:

الحمل والتوهم:

تحمل كلمة التوهم معنى بلوغ مراتب المعرفة في إدراك الأشياء والحقائق العلمية، وهو في الدراسات النحوية "تفسير تخيلي يضطر إليه النحاة والصرفيون وذلك عن طريق الاستعانة بالمعنى في محالة للتوفيق وتحقيق الانسجام بين ما قد يظن من خطأ في إعراب ألفاظ بعض التراكيب العربية الفصيحة والتي لا ريب في صحتها وبين القواعد النحوية والصرفية، ومحاولة تفسير مجيئها على هذا النظم"¹⁵ أي أنه حكم جزئي للمماثل في التشخيص، وهو إدراك جزئي للمادة، ويستعمل الحمل على المعنى بدل الحمل على التوهم مع النصوص القرآنية تأديبا¹⁶ وهو مرحلة أخيرة من مراحل التأويل النحوي فإذا لم يتأت حمل الكلام على لفظه ومعناه معا حمل على معناه فقط¹⁷ ويعد الفراء "أول من ربط بين التأويل والحمل على المعنى (التوهم) وقد استخدم التأويل مرادفا لمصطلح (الحمل على التوهم) (المعنى)¹⁸ فالتوهم ههنا إجراء ذهني لجزئيات البنى اللغوية المتناقضة في جميع مستويات النظام اللغوي.

واستعمل مصطلح التوهم في الكتاب للتعبير عما هو موجود في أذهان المتكلمين ولم يتكلموا به وهذا النص يبين ذلك: "وقد يرفع هذا في لغة بني تميم والنصب في لغتها أحسن [لأنهم يتوهمون الحال] فإن أدخلت الألف واللام رفعوا لأنه يمتنع من أن يكون حالا"¹⁹.

الغلط والصحيح:

استخدم سيبويه مصطلح الغلط لتصحيح مجرى كلام العرب لأن معرفة المتكلم لقواعد النظام معرفة ضمنية، فالذهن يقوم بعمليات دقيقة في إنتاجه وتأويله للكلام دون أن يدرك أو يحس المتكلم أو السامع إدراكا تجريبيا محسوسا بهذه العمليات كما أنه يبصر دون أن يعرف كيف تتم هذه العملية وكيف تنتقل السيالة البصرية وتتحول إلى صورة ذهنية وقياس ذلك على مختلف العمليات الأخرى التي يقوم بها ذهن الإنسان دون معرفة ظاهرية لكيفية حدوث هذه العمليات المعرفية إلا عند المتخصصين بمجالاتهم ومعارفهم المختلفة. ومن النصوص الواردة في كتاب سيبويه والتي تؤكد أن النحاة الأوائل يدركون الفرق بين المعرفة الضمنية الذهنية لقواعد اللغة الموجودة في أذهان المتكلمين والقواعد الفرعية التي تنجز في كلامهم قوله: "واعلم أن ناسا من العرب يغلطون فيقولون: إنهم أجمعون ذاهبون، وإنك وزيد ذاهبان وذاك أن معناه الابتداء فيرى أنه قال: هُم كما قال: ولا سابق شيئا إذا كان جائيا"²⁰ وهنا غلط لأن قبله الابتداء فأجمعون لا تجمع والواو علامة الرفع. فأجمعون قاسها سيبويه على (ولا سابق) فأصل الكلام:

يتمثل هذا التصور في تحليل سيبويه لقول العرب: (مررت برجل معه صقر صائد به/ مررت برجل معه صقر صائداً به) في قوله: "فأما ما استويا فيه فقوله: مررت برجلٍ معه صقرٌ صائدٌ به إن جعلته وصفاً. وإن لم تحمله على الرجل وحملته على الاسم المضمَر المعروف نصبته فقلت: مررتُ برجلٍ معه صقرٌ صائداً به، كأنه قال: معه بازٌ صائداً به، حينَ لم يرد أن يحمله على الأول"²³. وهو يحتمل وجهين:

الوجه 1: (معه صقر صفة لرجل و(صائد) صفة ثانية له وجملة الحال تحل محل المفردة في الأصل ومثال ذلك: [كلمته فيه إلى في] كأنه قال: [كلمته مشافهة وهكذا] فحمله (فيه إلى في) يؤول بـ (مشافهة).

الوجه 2: حمل صائداً على الضمير في (معه) والذي سماه سيبويه هنا الاسم المضمَر المعرفة، فهو ينصب على الحال. وعلق السيرافي على هذا القول في هامش الكتاب "معه صقر جملة مركبة من المبتدأ وخبر، صفة لرجل وصائدٌ به صفة أخرى إذا حملته على رجل، فإن حملته على الهاء في معه وهو الاسم المضمَر المعروف الذي عناه سيبويه نصبته على الحال. وهذا معنى قوله: تجعله خبراً، يعني حالاً"²⁴ وأيده ابن يعيش بقوله: "ألا ترى أنك تقول جاء زيدٌ يضحكُ كما تقول جاء زيد ضاحكاً"²⁵ فيضحك جملة فعلية تتساوى وكلمة ضاحكاً في البنية الأصل.

2.2 الجمع بين متناقضين:

اجتهد سيبويه في وصف كلام العرب وتحليله وتقديره ما حذف من كلامهم أو تأويله من باب الاختصار لمعرفته طبائع العرب وعاداتهم اللغوية، فالعرب تسعى إلى الاتساع في المعنى والاختصار في اللفظ، أي التعبير عن معان كثيرة بألفاظ قليلة كلما أمن اللبس وحقق ذلك غاية التواصل والتفاهم وفي ذلك يقول سيبويه: "وذلك قولك: متى سير عليه؟ فيقول الحاج، وخفوق النجم، وخلافة فلان، وصلاة العَصْر. فإنما هو: زَمَنَ مَقْدَمِ الحَاجِّ، وحينَ خُفوقِ النجم، ولكنَّه على سعة الكلام والاختصار. وإن قال: كم سير عليه، فكذلك وإن رفعته أجمع كان عربياً كثيراً. وينتصب على أن تجعل كم ظرفاً. وليس هذا في سعة الكلام والاختصار بأبعد من: صيد عليه يومان، وولد له ستون عاماً"²⁶.

والجمع لغة هو تأليف المتناقض وهو مصدر جمعت الشيء... والمجموع الذي جمع من هنا وههنا وإن لم يجعل كالشيء الواحد²⁷ ويقصد بالجمع بين المتناقضين التأليف بينهما حيث يظهر الائتلاف والتوافق بين المتعارضين أو ما في حكمهما من جهة الجمع بين الأدلة سواء أكانت أدلة بالترجيح النحوي بحكم أم أدلة من جهة ثبوت السماع بين المتناقضين، وعند الجمع يتبين أن الاختلاف غير موجود بينهما حقيقة، حيث إن بيانه يكون بتأويل أحد الطرفين أو بكليهما ومثله الترجيح في لفظين أحدهما فصيح والآخر أفصح أو أحدهما فصيح والآخر ركيك فهذا ترجيح في المدونة اللغوية. يقول تاج الدين السبكي: "ومن الناس من لم يقبل الركيك والحق قبوله وحمله على أن الراوي رواه بلفظ نفسه فإنه لا يشترط على الراوي بالمعنى أن يأتي بالمساوي في الفصاحة"²⁸، ما يعني أن التناقض هو العلاقة الناتجة من جمع المتناقضات لا المتناقضات في حد ذاتها التي تمثل أطرفاً متغيرة في علاقة جامعة ثابتة هي التناقض.

وفي تناقض خَبْران، لفظ أحدهما فصيح والآخر أفصح أخذ بالأفصح، ويرى العلماء أن هذا الأخذ لا يعد ترجيحاً وذلك لأن البليغ قد يتكلم بالأفصح والفصيح ويوجد متكلمون لا يعرفون إلا الفصيح. والمقصود الإفهام فوجب استعمال

الأفصح قصد إفهامهم لأنهم لا يعرفون الفصيح، ويتجلى هذا الأمر في تعارض خطابين أحدهما أفصح من الآخر فرأى جمع من علماء اللغة والأصول تقديم الأفصح على الفصيح من باب الترجيح بينهما.

يقوم الأخذ بالأفصح والعدول عن الفصيح على أساس الإفهام، فكلما كان الأفصح في بيان المقصود مستعملاً كلما كان ترجيحه أولى. ويعد الترجيح في هذا المحل من باب بيان المقصود من الخطاب وهو من اللغة في الترجيح، وهذا شائع عند سيبويه وهو ما سميناه بالأمثلة الافتراضية التي يستعملها النحوي لتأكيد استعمال معين بنفي ورفض ما عداها من الاستعمالات المماثلة لها لعدم تداولها في المدونة اللغوية، فهي تمثل حالة الانعدام الذي يناقض الشائع والشاذ.

3. مخرجات التناقض:

1.3. التعارض والترجيح:

وهو احتمال يرفض وجهاً أو أكثر لعلّة ما، ويقبل وجهاً واحداً لمطابقتها المقتضيات التركيبية النحوية وذلك بتعليل التناقض القائم بينهما. والإشارة إلى وجه معين على أنه الصحيح أو الصواب بعد أن تذكر الأوجه الأخرى، وهو ما يسمى بأسلوب التعارض والترجيح، في مثل مقارنة سيبويه بين آراء الخليل ويونس فيقول وزعم يونس/ وقال يونس/ وأخبرنا بذلك يونس/ حدثنا يونس²⁹ فهذا تفسير الخليل والذي نأخذ به³⁰.... إذ يعرض رأيين فأكثر ثم يرجح صحة رأي على حساب رأي آخر وهو كثير في كتاب سيبويه.

2.3. المحتمل والمؤكد:

وهو التعدد بين الجواز والرفض، ويحدث في هذا نمط "جواز لغير وجه، ورفض لوجه أو أكثر"³¹ وهو المستعمل في مفاضلة سيبويه بين تفسير الخليل ويونس وأبي عمر في باب ما يختار فيه الرفع ويكون فيه الوجه في جميع اللغات³² فهو لا يرفض تعدد الأوجه لأنه يخير غير وجه، ولكنه يرفض بعض الأوجه.

يرجع هذا التعدد في أساليب التأويل إلى تعدد أوجه التحليل النحوي الدال على تعدد الأحكام إذ يمتنع التأويل بامتناع الأدلة التي تثبته وتقرره، واحتمال الدليل يمنع احتمال التأويل.

ترجع عمليات التأويل الحاصلة في أذهان المتكلمين إلى الطبيعة المفاهيمية للغة في حد ذاتها، التي تحتل تأويلاً في الكلام الناتج عن المنجز على السطح الفنولوجي، وتأويلاً في النظام الداخلي الحاصل في أذهانهم، فما اللغة الخارجية إلا ترجمة للغة الداخلية، وعليه نتوصل إلى نحو اللغة، وتأويل المتكلم من: طبيعة اللغة في حد ذاتها وقيام المعنى حسب المقام الذي يؤدي فيه، وفي حالة غياب المقام نستعين بقرائن نؤول من خلالها المعنى المراد منها: التوهّم أو التصور وطول الكلام وتعدد أوجه الإعراب ورد الفرع إلى الأصل واتخاذ معيار التناقض لننتقل منه لبناء المعنى والعودة إلى خصائص الخطاب الذي صيغ فيه هذا المعنى كاحترام طبيعة اللغة العربية وخصوصيتها.

يراعي النحوي للوصول إلى قصد المتكلم مظاهر التناقض والتكافؤ في الكلام، التي يكشف عنها من الكلام المسموع كالاختصار في الكلام والجر على الجوار والحذف والبسط أو الطول في الكلام أو الاتساع والإيجاز والتضمين وكلها مظاهر في الكلام، ينطلق منها النحوي كمدخلات للوصول إلى قصد المتكلم.

ولأن التناقض حاصل في الكلام بمظاهره المختلفة ومستوياته المتعددة، فإن تحليل مستوياته يراعي مستويات اللغة، أي المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي.

يعتمد النحوي على استراتيجيات دقيقة لتحليل هذه المستويات منها التأويل بتعدد الأوجه والتأويل برفض الأوجه المحتمل والتأويل المؤكد للحكم على انسجام التأويل وملائمته لقصد المتكلم أولاً.

في مقابل الصور التي يستقبحها المتكلمون لعدم وجودها في إدراكهم يعبر سيبويه عن الصور الموجودة في إدراكهم ويصفها باستعمالات لغوية مناقضة لما يجري على ألسنتهم، تدل على اجتماع المتكلمين على استحسانهم وتقبلهم لها ومن ذلك كون فعل الشرط وجوابه مضارعين مجزومين فيقول سيبويه: "فإذا قلت: (إن تفعل) فأحسن الكلام أن يكون الجواب (أفعل) لأنه نظيره من الفعل"³³ ويقصد هنا بالنظير ما يناسبه من جهة الزمن والصيغة والبناء فلا يجوز أن تقول: (إن تفعل فعلت) لأن فعل الشرط وهو في المضارع لا يناظر (فعلت) في صيغة الماضي: فالمعنى لا يتم بذلك، ومثله فعل الشرط الماضي وجوابه مضارع مجزوم في قولك: "إن أتيتني أتك وإن لم تأتي أجرك، لأن هذا في موضع الفعل المجزوم، وكأنه قال: إن تفعل أفعل"³⁴ وهو نظير في السلم الزمي، وقد يكون بصورة "إن أتيتني أتك، أي أتيتني"³⁵ فهذه الأزمنة في مثل هذه الأمثلة تنتمي إلى فضاءات ذهنية متناظرة يمكن أن تتفاعل فيما بينها دون إحداث خلل في الشبكة المعرفية النحوية. وقد يعبر عن المعنى نفسه بمصطلح (مثله) في قوله وهو يصف فعلي الشرط وجوابه: "وإذا قال إن فعلت فأحسن الكلام أن تقول: فعلت لأنه مثله"³⁶ تحليله:

(إن فعلت فعلت) فهما متماثلان في الزمن والصيغة والجزم.

لا يمكن لهذه العوامل أن تلاحظ بمفردها لأن الكلام الذي يقيد على أنه واضح ومفهوم يمر بثلاث مراحل من عملية

التأويل:

1- يمكن الولوج إلى داخل الكلام المنجز والوصول إلى التناقض.

2- يمكن الوصول إلى تناسقه من خلال عدم التناقض.

3- الكلام رسالة، والملقى أصبح متلقيا في الوقت نفسه.

فالمشكل الأساس لتحليل الكلام المشفر (المسنن: أي أن المتكلم لا يفصح عن غرضه مباشرة ولكن يترك فراغات لنية ما، وهي ما يشتغل عليها السامع في عملية التأويل) يمكن أن تستعرض في مجالات التبادل الشفاهي وعن طريق التبادلات اللغوية.

يمكن كذلك تلخيص مبادئ التناقض لإيديولوجيات التواصل في نقاط هي:

- يوجد معنى لفظي يعرف بسرعة عن طريق الفهم البسيط وفي الأمد القريب يعرف بالوضوح³⁷ وهو ما يناقض حالة ما إذا كان المعنى اللفظي غامضا أو ملتبسا فإن التحليل يمكن أن يأخذ طريقا ما ليحذف أو يتخلى عن وجه ما في الوضوح ليعود مرة ثانية إلى القيام بالعملية نفسها ومثال ذلك، التناقض.

- أين نجد التعريف واضحاً، فإن إعادة إنجاز المعنى اللفظي بنقيضه تسمح بتوضيحه وتقديم المفارقات والمتناقضات التي تسترجع المعاني عن طريق الانتقال الأنتولوجي للغة فتصبح منتظمة.
- إنَّ وتيرة الوضوح الناتج عن التحليل النحوي يقلص كثيراً عملية التناقض بشكل ملحوظ ولا يعود المعنى في مشكلة الغموض أو الالتباس.
- إن الصعوبة الموضوعية تنتج عنها معرفة ناقصة وعملية المعالجة النحوية تحاول أن تتخلص من هذه الصعوبة كما تحاول أن تكمل ما ليس كاملاً من تناقض ثنائية المعنى واللفظ.
- إن التناقض ليس هو الأصل في الفعل اللغوي ولكن اعتماده كإجراء لمعالجة الحدث اللغوي يقلص نسبياً التناقضات المتوقعة، وهذا الهيكل يركز على نظريات التفسير والذي يعتمد فيها على تحليل قرائن لغوية.
- إن محور التواصل يفترض أن المُنجز اللغوي كامل إلا أنه يمكن أن يظهر بعض الضبابية على شكل متناقضات في المعنى وعملية المعالجة تكون مرنة عن طريق استحداث التعويضات في الفراغات.
- زيادة على ما سبق يحكم على اللغة الفعلية المنجزة، بأنها غير منتهية المعنى لأن الحكم يصدر عن المتكلم أو أن يكون حكماً مسبقاً لهيئة تقديم الكلام، ولا توجّه العلاقة بين المتكلم والسامع، فالتحليل الدلالي للمعنى يُظهر أن الكلام (المنجز) يتشكل حسب وجهة نظر المتكلم في عملية تنظيمه للعالم الخارجي، وهو ما يصف بالفعل العمليات الذهنية التي يقوم بها دماغ المتكلم في عملية الإنجاز اللغوي.

4. خاتمة:

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

صنف سيبويه المادة النحوية في الكتاب حسب الاطراد في الباب باعتماد إجراء الشبه والنظير كما هو حاصل في أذهان المتكلمين، ويتم هذا التصنيف النحوي حسب علاقات ترابطية بصورة مختلفة حسب قواعد الأصلية والفرعية، وهي عمليات معرفية يقوم بها ذهن المتكلم، وهي التي تتحكم في مرجعيات المعالجة النحوية عند سيبويه في وصفه كلام العرب وتصنيفه وتقسيمه.

تتصل أسس التصنيف النحوي وعملياته بإجراءات التناقض بالرجوع إلى السياق الخارجي الحامل لمجريات الفعل التواصلية، وربط هذه السياقات بأنواعها المختلفة بقصد المتكلم وتأثيرها عليه، لاستخراج الحالات النحوية المناسبة لها، فربط سيبويه بذلك بين المعنى النحوي والمعنى الاستعمالي ببيان سيرورة أوجه العربية في صورة الكلام المنجز.

حدد سيبويه تصنيف البناء التركيبي بتطبيق آليات التناقض بالوصول إلى البنى السطحية والبنى المتصورة الموجودة في أذهان المتكلمين عن طريق التمثيلات الذهنية لهذه العلاقات الرابطة بين البنى السطحية والبنى المتصورة.

5. قائمة المراجع:

القرآن الكريم

المؤلفات:

- ابن جني، أبو الفتح عثمان، تح: محمد علي النجار، 1952، الخصائص، بيروت، دار الهدى للطباعة، ج1.

- ابن يعيش، موفق الدين، دت، شرح المفصل، بيروت: عالم الكتب، ج2.
 - التواتي، بن التواتي، 2006، محاضرات في أصول النحو، الجزائر، منشورات مؤسسة الحياة الصحافية.
 - الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، تح: يوسف الشيخ محمد، 1999، مختار الصحاح، بيروت - صيدا، المكتبة العصرية -الدار النموذجية.
 - تاج الدين السبكي، أبو نصر عبد الوهاب تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى، 1995، الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفي سنة 785هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية، ج3.
 - سيبويه، أبو البشير عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السلام محمد هارون، 1988، الكتاب، بيروت، دار التاريخ، ج 1.
 - شوقي، ضيف، 1987، المدارس النحوية، القاهرة، دار المعارف.
 - عبد الرحمن الحاج صالح، 2007، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزائر، موفم للنشر، ج 2.
 - عبد الرحمن، بودرع، 2013، الأسس المعرفية للغويات العربية، أكادير (المغرب)، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.
 - عبد الله، أحمد جاد الكريم، 2001، التوهم عند النحاة، القاهرة، مكتبة الآداب.
 - محمود، أحمد سليمان ياقوت، 1988، التراكيب غير صحيحة نحويا في كتاب سيبويه، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
 - محمود، حسن الجاسم، 2008، تعدد الأوجه في التحليل النحوي، دمشق، دار النمير للطباعة والتوزيع.
- المراجع باللغة الأجنبية:

RASTIER, François, décembre 2005, Herméneutique et linguistique, dépasser la méconnaissance, Texto! [en ligne], vol. X, n°4. Disponible sur : http://www.revue-texto.net/Dialogues/Debat_Hermeneutique/Rastier_Herm-et-ling.html, p1

Consultée le 12-02-2022, 01 :25^m.

6. الهوامش:

- 1- التواتي، بن التواتي، 2006، محاضرات في أصول النحو، الجزائر، منشورات مؤسسة الحياة الصحافية، ص159.
- 2- عبد الرحمن الحاج صالح، 2007، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزائر: موفم للنشر، ج 2، ص 15، 16.
- * وهو ما أكدته النظرية التوليدية، خاصة الاحتفاظ بقواعد نظم الجمل. إلا أنها لم تبين كيف يحتفظ الذهن بالكلمات التي لا تتكون بطريقة الاشتقاق مثل: رجل، ورق... إضافة إلى أسماء الأعلام، فالذهن يصنف -حسب النظرية التفسيرية- المفردات باعتبارات مختلفة، وطريقة الاشتقاق واحدة ضمن هذه الطرق المتعددة.
- 3- سيبويه، أبو البشير عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السلام محمد هارون، 1988، الكتاب، بيروت، دار التاريخ، ج1، ص 355.
- ينظر أيضا: ابن جني، أبو الفتح عثمان، تح: محمد علي النجار، 1952، الخصائص، بيروت، دار الهدى للطباعة، ج2، ص 173.
- 4- سيبويه، الكتاب، ج1، ص81.
- 5- المرجع نفسه، ج1، ص 356.
- 6- المرجع نفسه، ج1، ص 355-356.
- 7- ينظر: ابن جني، ج1، ص 256 وما بعدها.

- 8- عبد الرحمن، بودرع، 2013، الأسس المعرفية للغويات العربية، أكادير (المغرب)، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ص 130-131.
- 9- محمود أحمد سليمان ياقوت، 1988، التراكيب غير صحيحة نحويًا في كتاب سيبويه، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص 15 وما بعدها.
- 10- سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 312.
- 11- المرجع نفسه، ج2، ص 80.
- 12- المرجع نفسه، ج2، ص 86.
- 13- المرجع نفسه، ج2، ص 88. ينظر أيضا: ج1، ص 321-329.
- 14- المرجع نفسه، ج 1، ص 132.
- 15- المرجع نفسه، ج1، ص 30.
- 16- عبد الله، أحمد جاد الكريم، 2001، التوهم عند النحاة، القاهرة، مكتبة الآداب، ص129.
- 17- سيبويه، الكتاب، ج1، ص48، 265.
- 18- عبد الله، أحمد جاد الكريم، التوهم عند النحاة، ص 56. ينظر أيضا: شوقي، ضيف، 1987، المدارس النحوية، القاهرة، دار المعارف، ص170، 184.
- 19- سيبويه، الكتاب، ج1، ص 318، 264، ج2، ص264.
- 20- المرجع نفسه، ج 2، ص110.
- 21- المرجع نفسه، ج3، ص38.
- 22- المرجع نفسه، ج2، ص29.
- 23- المرجع نفسه، ج2، ص 34.
- 24- المرجع نفسه، ج2، ص34.
- 25- ابن يعيش، موفق الدين، دت، شرح المفصل، بيروت: عالم الكتب، ج2، ص67.
- 26- سيبويه، الكتاب، ج1، ص 202.
- 27- ينظر: الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، تح: يوسف الشيخ محمد، 1999، مختار الصحاح، بيروت - صيدا، المكتبة العصرية -الدار النموذجية، مادة [ج م ع] ص 60.
- 28- تاج الدين السبكي، أبو نصر عبد الوهاب تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى، 1995، الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفى سنة 785هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية، ج3، ص 229.
- 29- سيبويه، الكتاب، ج1، ص 214، 230، 232، 271، 272.
- 30- المرجع نفسه، ج1، ص 294، 312، 313.
- 31- محمود، حسن الجاسم، 2007، تعدد الأوجه في التحليل النحوي، دمشق، دار النمير للطباعة والتوزيع، ص 40.
- 32- سيبويه، الكتاب، ج1، ص 320-321.
- 33- سيبويه، الكتاب، ج3، ص 69.
- 34- المرجع نفسه، ج3، ص 52.
- 35- المرجع نفسه، ج3، ص 50.
- 36- سيبويه، الكتاب، ج3، ص 69.

texto.net/Dialogues/Debat_Hermeneutique/Rastier_Herm-et-ling.html, p1, Consultée le 12-02-2022, 01 :25^m.